مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
مجلد: 10عدد: 02السنة 2018 رقم العدد التسلسلي 16

# حضور التراث الشعبي الجزائري عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهاتف النقال

# The Algerian folklore in social networks and mobile applications

الدكتور : رضا عامر
المركز الجامعي ميلة (الجزائر).
azorida12@gmail.com

تاريخ الإرسال 2017/12/09– تاريخ القبول 03/26/ 2018– تاريخ النشر2018/11/29

## مُلخّص البحث

لقد ساهم التراث الشعبي الجزائري بكل أشكاله في تحقيق نقلة نوعية في التواصل بين مختلف طبقاته الشعبية من خلال العديد من الوسائط الرقمية، والتي ساهمت بشكل مباشر في حفظه من الزوال، ولاحيائه في الحياة الثقافية الشعبية كعنصر أساسي يمثل هوية الأمة، ويساهم في تبيان خصوصية هذا التراث الشعبي القومي، ومحاولة نقله من البيئة المحلية إلى العالمية بتداوله عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ومختلف تطبيقات الهاتف النقال، وهذا الأمر حقق له تداولاً فنيًا وجماليًا كنص غير رسمي يحفظ وعاء الأمة من الذوبان والتفسخ الذي بدأت تتعرض له عبر العولمة الثقافية، و التي ساهمت في طمس التراث الشعبي الأصيل لكل التجمعات الإنسانية.

**الكلمات المفتاحية**: التراث الشعبي، أشكال، شبكات التواصل، تطبيقات الهاتف، الزوال، تداول، التفسخ.

**Abstract**

The Algerian folklore in all its forms has contributed to a qualitative leap in the communication between its various layers through many digital media, which directly contributed to its preservation and its revival in popular cultural life as an essential element representing the nation's identity. Moreover, it transferred it from the local environment to the global circulation through social networks, and various applications of mobile phone. Thus, this has achieved a technical and aesthetic as an informal text preserves the

nation's melting and decomposition, which began to be exposed through cultural globalization, which contributed to deforming folklore of all human communities.
- **Keywords**: folklore - forms - networks - telephone applications - demise – deliberation- decomposition.

**تمهيد:**

لقد تطورت الثقافة الشعبية الجزائرية بشكل ملفت للنظر، فكان التنوع والتعدد من أهم ميزاتها التي ساهمت في تقريب مختلف وجهات النظر بين شرائح المجتمع وطبقاته، ولعلّ هذا الأمر قد أعطى التراث الشعبي صورة هامة في إشباع نفسية المجتمع الجزائري، وعلى وجه خاص فئة الشباب منهم، فكانت شبكات التواصل الإجتماعي، وتطبيقات الهاتف الجوال نقطة عبور وتواصل هامّة ضمت في طياتها أشكال كثيرة من التراث الموثق في الذاكرة الشعبية لدى العديد من المثقفين الجزائريين نحو: الأمثال الشعبية، النكت، القصائد الشعبية، وغيرها من أشكال التراث الشعبي التي حفل بها التراث الشعبي مما جعل شبكة التواصل الإجتماعي وتطبيقات الهاتف النقال حلقة هامّة في طرح العديد من القضايا الثقافية والإجتماعية والفكرية، وحتى السياسية وتطعيمها بين الفنية والأخرى بمختلف الألوان الشعبية التي جاد بها التراث الشعبي الجزائري.

إنّ مساهمة أشكال التواصل الرقمي في الحياة الثقافية للمجتمع الجزائري قد ساهم في إماطة اللّثام عن العديد من القضايا التراثية الشعبية المتوارثة في الثقافة الشعبية الجزائرية والتي كادت أن تندثر، والتي هي بحاجة ماسة لإعادة القراءة والنظر من جديد، ومن ثم تقديم تجربة المثقف فيها لتساهم في الرفع من شأن هذا التراث الثقافي لكونه "ذاكرة الشعوب وماضيها والمرآة التي تنعكس فيها الأحداث والتطورات الكبيرة والخطيرة والتي تؤثر سلًبا أو إيجابًا"، وعليه كان المثقف الجزائري في تواصل دائم مع تراثه رغم العولمة الثقافية التي مرت بها الدول العربية لإذابة هذا التراث وطمسه من مخيال الذاكرة الشعبية تدريجيًا ومع ذلك الخضم لم يغفل الجزائري

عن تراثه فهو جزء لا يتجزأ من منظومته الحضارية التي يأخذها معه أينما حلّ ووجد، وهذا حال شبكات التواصل الإجتماعي، وتطبيقات الهاتف النقال والتي باتت محطة هامة في نقل الثقافة الشعبية وتداولها .

## أولاً : التراث الشعبي وحضوره في الثقافة المحلية

لعلّ حفظ التراث الشعبي بات من أولويات العديد من الدول العربية الباحثة عن حفظ هويتها الثقافية التي أصبحت عرضة للمسخ والذوبان بعد أن غيّبت في "المخزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال"[1]، فظهرت عديد مظاهر التحلل والتفسخ في الهوية الثقافية في سلوكيات الأفراد والجماعات الشعبية المتأثرة بحركية العولمة، وتفسخ العادات والتقاليد المتوارثة جيلاً عن جيل، فكان لابدّ من وجود دوافع رئيسة للحفاظ على الموروث الشعبي لكونه صمامة أمان لمختلف الطبقات الشعبية، فهو"حامل للقيم وتجارب الشعوب" [2]، وهذا الأمر دفع إلى التأسيس لآليات مختلفة تحتمي بها مختلف الطبقات الشعبية من كلّ غزو ثقافي قد يؤثر في إستقرار فكرها، ومسخ توجهها المتجذر في الحفاظ على جميع عناصر التراث المادي واللامادي في عالم متغير الأسس والنظريات والمعتقدات، والأعراف، فكان بديهيًا على المثقف الشعبي تحمل جميع مسؤولياته نحو جميع المتعلقات التراثية من مخطوطات ونصوص وكتب مادية ونصوص شفوية منقولة غير مسجلة، والتي تشكل هوية معينة لأمّة من الأمم وتعطيها رمزية التميّز على جميع القوميات والأعراق، خاصة وأنّ النص التراثي "لا يخلو من جذور موغلة في التاريخ القديم لهذه الشعوب[3]، وعليه يبقى حضور هذا النص في يوميات المثقف الشعبي حلقة هامة في حماية مكونات المجتمع الشعبي بشكل كبير من كل مايهدد تواجده الإقليمي، والقومي.

والأمة الجزائرية نجدها جميعًا في سعي متواصل للحفاظ على جميع مقدساتها التراثية لإعتبارات نفسية، تاريخية، واجتماعية، وحتى إيديولوجية من أجل البقاء في زمن أصبحلايقيم وزنًا للهُ ويات، والإثنيات، وهذا ما خلق في النهاية فجوة كبيرة بين مختلف طبقات الشعب الواحد فيما بينها، للخوف من فوبيا العولمة وتقنياتها، وتأثيراتها

السلبية على ماضي الأجداد بعد أن أصبح الموروث الشعبي "ساحة للصراع الدائر بين قوى التغيير (بإسم الحداثة) والقوى المضادة للتغيير (بإسم الدفاع عن الموروث)" [4].

فهذا التباين في المواقف جعل من التراث محطة صراع فكري، وحتى فلسفي إيديولجي مما ساهم في تشتيت الذهنيات، وجعل منها معضلة تشهدها العديد من الدول في التعامل مع تراثها، والطبقات الشعبية التي تقوم بصيانته من التلف والزيف والزوال على مرّ العصور إذن مازال التراث القديم بأفكاره وتصوراته ومثله موجهاً لسلوك الجماهير"[5] الشعبية بكل عنفوان ليشكل في النهاية درع صدّ ضدّ كل دعاة الغربنة لهذا الموروث الشعبي المتعارف عليه بين جميع الطبقات الشعبية، ودارسي التراث، وإذا تتبعنا صور تواجد التراث الشعبي في الموروث الثقافي لأيّ أمة من الأمم فإنّا نجده يرتكز حضوره على ثلاث محطات هامّة هي: **(المعتقدات الشعبية، العادات والتقاليد، الفنون الشعبية المختلفة المادية وغير المادية)**، وكل شكل من هذه الأشكال التراثية تتفرع عنه العديد من الأنواع الشعبية، والتي تأسس لحلقة هامة في سلم الهويات.

كما أنّ تنوع المعتقدات الشعبية بمختلف أشكالها وأنواعها من معتقدات دينية إلى طقوس متوارثة عبر الأجيال المختلفة عرف – في النهاية متلقي هذا التراث– حالة المجتمعات الشعبية التي تتعدد فيها الطقوس التراثية المادية والشفوية، والتي وجد فيها المتلقي الشعبي هويته وأسس تواجد، وغيرها من التصورات والتمظهرات التي لم يتوقعها المستخدم لهذا التراث، مما جعل الناقد الشعبي المعاصر يسعى جاهدًا في عملية الجمع والإحصاء لكل ماله صلة بالتراث العربي وتحقيقه وتأسيس وزارات ومراكز بحث تقوم بحفظ التراث الشعبي العربي نحو: (مركز الشارقة للتراث، وزارة الثقافة والتراث العُمانية، وزارة التراث والثقافة الإمارات، المعهد الوطني للتراث تونس المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية في الجزائر: Centre national de recherche en anthropologie sociale et culturelle (CRASC) أقسام الثقافة الشعبية في بعض الجامعات العربية ومنها الجزائر نحو قسم الثقافة الشعبية العربية بجامعة تلمسان والثقافة الأمازيغية بجامعة تيزي وزو)...إلخ، وغيرها من المؤسسات الرسمية وهذا كله "لتحافظ وتدرس هذه

الجوانب من ثقافة المجتمعات العربية" [6] بشكل عام، كما نشير إلى وجود العديد من المجلات الثقافية المهتمة بالتراث الشعبي ذات الطابع الثقافي السياحي، وبعض المجلات العلمية الأكاديمية ذات الطابع العلمي تبحث في التراث الشعب بشكل أساسي، وجميعها قدمت الكثير للثقافة الشعبية العربية وحتى العالمية منها من جمع وإحصاء وتأسيس ونقد لهذا التراث ومقارنته بالتراث الإنساني الذي يعدّ منبع هذا الإرث البشري، والجدول الإحصائي التوثيقي يشير إلى ذلك:

| اســم المجلــة | نوعها:(ثقافية/علمية) | الــدولة التي تصدرها |
|---|---|---|
| مجلة التراث الشعبي | مجلة تراثية و فولكورية | العراق |
| مجلة التراث الشعبي | مجلة ثقافية | وزارة الثقافة (سوريا) |
| مجلة السمق | مجلة علمية أكاديمية | الجمعية الجزائرية للأدب الشعبي(الجزائر) |
| مجلة حوليات التراث | مجلة علمية أكاديمية | جامعة مستغانم (الجزائر) |
| مجلة الثقافة الشعبية | مجلة علمية أكاديمية | إمارة البحرين |
| مجلة الموروث | مجلة علمية أكاديمية | مركز الشارقة للتراث(إمارة الشارقة) |
| مجلة المأثورات الشعبية | مجلة علمية محكمة | وزارة الثقافة والفنون والتراث (قطر) |

وبما أنّ التراث الشعبي وحضوره في يوميات الفرد "يشير إلى أشكال الإيمان المختلفة[7] بهذا التراث، وأشكاله المختلفة من شعر شعبي، قصة شعبية، أمثال ألغاز، سير وملاحم، أدب المغازي وعليه، فقد برزت إهتمامات المثقف الشعبي بكل تلك الأشكال، وحاجة المتلقي الشعبي إلى ذلك العالم العجائبي كنتيجة لإنعدام القيم الفنية، والجمالية في واقعنا المادي، لذلك إرتمى العديد من المفكرين الشعبيين في أحضان الأمثال والنكت الشعبية الهزلية بشكل مباشر "لأحداث توازن مستمر بين العالم القديم، والعالم الجديد، للسيطرة على تلك الصورة العريضة من العقم والفوضى التي تكّون تاريخنا المعاصر"[8]، كما إتخذها المفكر الشعبي بمثابة الأقنعة والرموز

لموضوعاتهم، ومنطلقاتهم الفكرية التي يخفون بها مقاصدهم الفنية ونوازعهم الإيديولوجية نحو قضايا ما تؤرّقهم، وتشغل بالهم من حين لآخر، فكانت معادلاً "موضوعيا بين أحداثها الموروثة وأحداث جديدة لم توضع في الأصل"[9] هروبًا من واقع الرقابة السياسية، والنقدية لما يودّون التعبير عنه بواسطة اللّغة الدارجة، والتي تعدّ ركنًا أساسيًا في تحقيق التواصل والاستمرارية بين أفردا الشعب الواحد دون فوارق.

إنّ مجهودات المفكر الشعبي أثناء عملية إبداعه للخطاب الأدبي تنصب على جعل اللّغة تتطابق مع عالمه من خلال توظيفه للرمز داخل الخطاب الذي يمكن أن يستوعب عالم رؤية المبدع ليعكس أفق توقعه للحظة المكاشفة الشعورية من خلال اللّهجة الشعبية الدارجة الموشحة بالمثل أو النكتة وهذا ما دفع المبدع الشعبي المعاصر إلى التوظيف المكثف للعديد من ثقافته المحلية عاكساً أبعاداً فكرية وحضارية في الحياة اليومية، "تؤدي دورًا كبيرًا في البناء" [10].

وبما أنّ الفكر الشعبي يمثل أهمية بالغة في إحداث وظيفة التجميل للثقافة الشعبية وبخاصة "إحالة تناصية وتوضيح للمعنى، وتفصيل لما هو غامض وغير مبين" [11] في لغته الشعبية عبر أشكاله المتعددة، حيث يجمع في سطوره النثرية العديد من التناصات الشّعرية لمختلف الحالات النفسية التي مرّت بها تجربته الثقافية، فكانت الأمثال والنكت الشعبية في النهاية هي المتنفس الوحيد للغة البوح اليومية، وتحرير نفسية المبدع الشعبي من كل أنواع السُلط التي باتت تراقب إبداعاته، و مقصديتها التي يعرض من خلالها العديد من التصورات الفكرية والمعرفية للحياة اليومية التي باتت تحاصر فكر المثقف الشعبي، وتلزمه بالتحفظ وعدم الخوض في القضايا الإيديولوجية والرسمية للمجتمع الذي يعيش فيه بمختلف تصوراته الفلسفية والفكرية التي تؤسس للفعل التواصلي بين طبقات المجتمع الشعبي في الأتراح والأفراح لتعكس لنا زاوية رؤية ما عن الحالات الشعورية المأزومة داخل المجتمع الشعبي الذي في النهاية نجده يبحث عن تحقيق أكبر قدر من التواصل اليومي مع جموع الطبقات الشعبية.

## ثانياً: توظيف الثقافة الشعبية الجزائرية في الوسائط الرقمية وتطبيقاتها:

لقد تطورت الثقافة الشعبية بشكل ملفت للنظر، فكان التنوع والتعدد من أهّم ميزاتها التي ساهمت في تقريب مختلف معانيها ودلالاتها، ولعلّ هذا الأمر قد أعطى التراث الشعبي صورة هامة في نفسية هذه المجتمعات، فكان الأدب الشعبي العربي عامة والأدب الشعبي الجزائري خاصة نقطة عبور وتواصل هامة ضمت في طياتها أشكال كثيرة من التراث الموثق في الذاكرة الشعبية، ممّا عجّل بنقاد الأدب الشعبي إلى تبني العديد من النظريات الغربية من أجل قراءة نقدية واعية له، تساهم في إماطة اللّثام عن العديد من القضايا التراثية الشعبية التي هي بحاجة ماسة لإعادة القراءة والنظر من جديد، ومن ثم تقديم تجربة نقدية تساهم في الرفع من شأن هذا التراث لكونه "ذاكرة الشعوب وماضيها والمرآة التي ينعكس فيها الأحداث والتطورات الكبيرة والخطيرة والتي تؤثر سلًبا أو إيجاًبا" [12]على مختلف الطبقات الشعبية.

طبعًا وجد الأديب الشعبي في الوسائط الرقمية الملاذ الوحيد للهروب من خيباته ولتخطي فواجعه على المستوى النفسي خاصةً عبر شبكات التواصل الإجتماعي ومختلف تطبيقات الهواتف الذكية لتمثل في النهاية موضوعات داخلية تتشكل بتماهيات متتابعة فالأمثال الشعبية والنكت التي يوظفها المثقف الشعبي كممارسة يومية في الوسائط الرقمية باتت البؤرة التي يرى من خلالها المبدع الشعبي ثقافته المحلية في جوّ من العولمة التقنية ليعطي لمختلف أشكال تراثه الشعبي أبعادها المختلفة التي تترجم ذاته البشرية، وتكثف لتجربته الشخصية التي ستمكنه في يوم ما من ولوج عوالم لم تكن متاحة له في يوم من الأيام.

كما نؤكد على أنّ قراءة النص الشعبي الرقمي هي في حد ذاتها مشكلة نقدية عويصة خاصة قراءة **(المثل/النكتة)** لكونها من النصوص الشعبية المكثفة لغويًا ذات مرجعيات متعددة الوسائط الرقمية، وتبقى مسألة عرض مضامينها، وتحديد مرتكزاتهما الفنية والجمالية التي يقوم عليها النص مسألة ذوقية بحتة "وبما أنّ النص الإلكتروني عبارة عن كتلة لغوية متحركة في الاتجاهات كافة، فهي تأخذ طابًعا

متشعبًا، لكن درجات هذا التشعب مرهونة بنوعية الشبكة ومدى ليونة أو صعوبة أو تعقيد وصلاتها"[13].

فهذا الأمر جعل من هذا النص التفاعلي هلامًيا لا يستطيع الفكر النقدي المعاصر، ومناهجه التحكم في آلية عرضه أو طريقة تلقيه قراءة نقدية، فلا يجد هذا النص التفاعلي سبيلاً منهجيًا لقراءته في ظلّ الوسائط الرقمية المتعددة في عالم افتراضي بات يتوسع إبداعًا على حساب النص الشعبي الشفوي كما نجد جلّ مضامينه تفاعلية متغيرة، غير ثابتة تنزلق عبر حركة الشابكة، وتنوع وصلاتها، من إندماج، إختزال، تعدد، تشكل، تماهي من خلال بوابات رقمية متداخلة، فالمثل أو النكتة الشعبية الرقمية لها مصاحبات تغذيها بدافعية من الصور والألوان والنغمات في وسائط مدمجة مع مخرجاته ومدخلاته التفاعلية، كنوع من التركيب اللّغوية مع الفنون الجميلة والموسيقية والمرئية "في كتلة مجازية يحركها الخيال" [14]، ليصبح في النهاية صورة متغيرة متجددة متفاعلة تعطينا تركيًبا في حالة من الحركة المتواصلة يزيد في كثافة النص المقروء.

يعدّ كل من **المثل والنكتة** الشعبية الجزائرية بمثابة رافد من روافد الثقافة الشّعبية الهامة فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية في مسيرة التراث الشعبي، فمنذ فجر تاريخ الإنسانية، كان الإبداع الشعبي حاضرًا في الثقافة الشفوية، التي تبحث عن التواصل بكل مصداقية للوصول إلى المتلقي والقارئ بجودة ما يطرح فيها من مواضيع وقراءات ودراسات تراثية شعبية متميزة، بل بما فيها من مبدعين استطاعوا النهوض بها في تلك الفترة حيث كان المتلقي في تلك الفترة يتشوق إلى قراءة ما يطرح في المهرجانات الشفوية الشعبية من أمثال ونكت من أجل صناعة ثقافة الحدث والتواصل الفني والجمالي عبر الذاكرة الشّعبية التي تسهم بشكل كبير في عملية حفظ هذا التراث، وطقوسه المتنوعة في مجال الحياة الشعبية العامة.

كما أنّ مصداقية استلهام التراث الشعبي لا تتحقق فقط في إرتباطه بالمتغير السياسي والاجتماعي، ولكن أيضًا في إرتباطه بالقيم الكبرى مثل الحبّ والكراهية الحياة والموت،وعلى ذلك فالمبدع الشعبي ليس محققًا أو مصنفًا أو ناقلاً للمادة

التراثية فحسب، بل هو صورة حية في نقل التاريخ الشعبي من بيئته الأّم إلى العالم الخارجي حتى يتسنى لنا معرفة هذا التراث برؤية فتية جمالية في سلم تقدم الإنسان ومن ثم محاولة تلقيه بشكل يسهم في نموه وإستمراريته في مسايرة حركية الثقافة الشعبية للمتلقي من جهة، ومن جهة ثانية محاولة طرح إشكالية تلقي هذا التراث والبحث في أعماقه واهتماماته .

وبما أنّ هذا التراث الشعبي عامة ليس بالإنتاج المدون في المجلدات وكفى إّنما هو ذلك التراث الثقافي والتاريخي والإنساني الموجود والممتد في ذات الإنسان المبدع سلوكاً وتفكيراً وممارسةً ، فالناقد الحقيقي يتناول هذا الإرث الشفهي أو المدون للإنسان الشعبي الفاعل فيه على أساس عضوي، وبرؤية نقدية متقدمة وشاملة وغير براغماتية، والعملية النقدية هذه تسبقها بلا شك عملية جمع التراث، وتدوين الجانب الشفوي منه وتصنيفه، ومثل هذا العمل المتشعب والمعقد عمل جماعي بالضرورة، ولا توجد أّمة شعبية إلاّ ولها فولكلورها الشعبي، وحكاياتها وأساطيرها التي تعبر على نحو ما عن طبيعة الحياة، والناس في تلك الحقبة من الزمن.

والدارس لبنيات الثقافة الشعبية الجزائرية المختلفة، لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبته الأمثال والنكت في الحياة الإنسانية من تأثير في سائر القبائل التي سكنت الجزائري بداية من قبائل بني سليم وبني هلال وكتامة، وغيرها من القبائل الشعبية، ومن هذا المنطلق شكل التراث الشعبي عندها مرجعًا حقيقًيا للدراسة الإجتماعية والتاريخية والدينية والثقافية والإنسانية إذ شكلت الحكم والأمثال الشعبية والأغاني والرقصات والطقوس الفولكلورية مادة خصبة للباحثين والدارسين لتعكس إبداع الإنسان الشعبي الجزائري بشكل خاص، وتراث هذه القبائل بشكل خاص لما تملكه من خصوصية شعبية في طرح تراثها الشعبي من خلال مرجعياتها الجزائرية بوجه خاص لتعكس زخم التراث الإبداعي عند هذه القبائل.

وعليه مازال **المثل/النكتة** الشعبية وسيلة فلكلورية يفصح القائل من خلالها عن مختلف خفايا النفس البشرية حيث نجد صور جميع المشاهد التي قد تصيبها وتجعل من المبدع الشعبي حبيس تلك الآهات، فقد أحصى الشاعر الشعبي جميع

تلك المظاهر دون كلل فني أو جمالي قد يعيق مسيرته في التأسيس لمكانته في عالم الثقافة الشعبية المحلية لأيّ مجتمع، فكانت حينها هذه الأشكال الشعبية حلقة وصل بين ما هو عامي، وفصيح عكس مختلف الظواهر الإجتماعية والثقافية والسياسية التي إحتفى بها الفرد الشعبي الجزائري داخل مجتمع القبيلة، هذا الأمر جعل من تراثهم الشعبي صعب التوثيق من قبل العديد من الباحثين لكونه لم يجد التدوين إليه سبيلاً فهذا الأمر ساهم في ضياع الكثير من الأمثال، والنكت الشعبية التي حفل بها التراث الجزائري.

في حقيقة الأمر إنّ الأدب الشعبي الجزائري مليء بمختلف الأشكال الشعبية ذات المضامين الإنسانية التي تستند في فحواها إلى الذاكرة الفردية والجماعية في نقل الموروث –الأمر نفسه بالنسبة للشعر الشعبي الجزائري– لذلك غالبًا ما يأتي المثل الشعبي أو النكتة تعبيراً صريحًا عن وعي جمعي قبلي، وإذا كان التدوين للأمثال الشعبية بوجه خاص مثلما وجدناه في مصنف **(القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب)** لنور الدين عبد القادر مثلاً خير مثال على ذلك والذي قد حفظ تلك المضامين في نهاية المطاف، ونقلها للمتلقي تدريجيًا عند المتلقي الشعبي في البادية، والحضر منذ قرون، ويعني هذا أنّ كل من الأمثال الشعبية والنكت قد ظلّت شفويّة رهينة الذاكرة ، والحفظ الذي طبعهما بالزيادة والنقصان والتغيير من راوٍ إلى آخر فترة طويلة ماجعل العديد من الأمثال والنكت الشعبية تتداخل فيما بينها وتنحل من طرف العديد من الرواة الشعبيين الذين نقلوا هذه الأشكال الشعبية فسادهما خلط كبير لم ينتبه إليه النقاد والرواة الشعبيون لحد الآن، وكأنّ الأمر الذي حدث للمثل والنكتة العربية الفصيحة منذ عصر الرواة والمشافهة من جمع وتصنيف وتدوين لا يعنى إطلاقًا الأمثال والنكتة الشعبية بالدارجة، والتي تعدّ في نهاية الأمر جزءًا هامًا من الثقافة الشعبية القومية لأيّ مجتمع.

**1. الأمثال الشعبية الجزائرية في الفايسبوك:**

لقد كان حضور الثقافة الشعبية في شبكات التواصل الاجتماعي أكثر من ضرورة تطلبتها العولمة التقنية، والتي إستعان بها المثقف الشعبي الجزائري عبر

آليات شبكة الإنترنيت، والتي باتت محطة كبيرة لتوظيف مختلف أشكال الثقافة الشعبية وعرضها على جميع رواد – **الفايسبوك** أو **التويتر**– عبر النوافذ الرقمية المتاحة تدريجًيا لكل المتصفحين، ولعلّ الأمثال الشعبية وتجلياتها عبر العديد من النقاشات والدردشات الفايسبوكية قد أدت دورًا هامًا في رقي الثقافة الشعبية الجزائرية، خاصة أنّ "المثل لون أدبي طريف المنحى، عظيم الفائدة يلخص تجربة إنسانية"[15] كما أنّ تداوله بشكل سلس ومثمر بين مختلف الطبقات الشعبية حتى لا تندثر يحقق له الإنتشار، والتداول التي يبحث عنها الأديب الشعبي لكل ما يريد نقله من فكر وثقافة محلية للآخر الذي يبحث عن كل ما يميط له اللّثام عن التراث الشعبي لتلك القبيلة ومحاولة التواصل معها ومشاركتها مختلف العلاقات الإجتماعية.

ولعلّ توظيف الأمثال الشعبية عبر الوسائط الرقمية قد زاد في قيمة حضورها، ونقلها للمتلقي تدريجًيا من أجل التأسيس لهذه النماذج التفاعلية، وتحرير النص الشعبي من الممارسة الخطية للتفاعل الرقمي بشكل يضمن له أكثر حضور وتواصل مع مختلف الطبقات الشعبية ما جعل العديد من الأمثال الشعبية التي كانت مهمشة أن تجد لنفسها التوظيف والحضور في اللّسان الشعبي بشكل سلس دون عوائق تحد من تواجد هذه الأمثال، وعليه فمختلف الوسائط الرقمية التي ظهرت في عصر العولمة باتت تعمل بشكل إيجابي في توظيف هذه الأمثال بكل تفرعاتها ومضامينها من أجل خدمة التراث الشعبي، ومحاولة حفظه من الإندثار ، وفي ذات الوقت ضمان حضوره وتداوله بين المتعاملين على الشبكة الرقمية ومختلف الوسائط الرقمية التي تستخدم في إدارج هذه الأمثال الشعبية من المرسل إلى المرسل إليه دون عوائق فكرية أو جغرافية أو إثنية تقف في وجه انتقال مثل ما من بيئته الأم إلى بيئة أخرى جديدة لم تكن معروفة لدى الشخص المتلقي، و لعلّ عصر الرقمنة اللغوية والفكرية والتراثية جعلت من التراث الشعبي يعي هذه النقلة النوعية، ويحث الجميع على المشاركة فيها من أجل ضمان استمراريته لدى مختلف الطبقات الشعبية، وإلاّ سوف يختفي المثل من صور التواصل لدى أفراد الطبقات الشعبية.

إنّ توظيف المثل الشعبي داخل دائرة الشبكة الرقمية خاصة الفايسبوك قد شكل نقطة تحول كبيرة في التلقي والتفاعل مع هذه الأمثال التي كانت لا تظهر إلاّ في الأسواق أو المقاهي الشعبية، وبعد عملية التداول لمختلف شبكات التواصل الإجتماعي بدأت الأمثال الشعبية تجد طريقها في عالم الرقمنة التي مهدت لها لولوج هذا العالم دون تردد من طرف مستعملي الشبكات الرقمية، بالإضافة إلى العديد من النوافذ الرقمية التي أسست لصفحات خاصة على الفايسبوك تخص الأمثال الشعبية الرقمية ومصاحبتها بصور رقمية تعكس معاني ودلالات هذه الأمثال الشعبية، وعليه فالجدولين الآتين يصنفان بعض الأمثال الشعبية الرقمية المتداولة كعينات منتقاة عبر صفحات الفايسبوك، وهي كالآتي:

| صورة المثل الشعبي في الفايسبوك | النسق الثقافي |
|---|---|
| | النسق الأنثوي: الذي يحدد علاقة المرأة بالمجتمع الشعبي ومختلف طبقاته الثقافية |
| | |

| النسق الثقافي | صورة المثل الشعبي في الفايسبوك |
|---|---|
| النسق الشعبي الاجتماعي:<br>الذي يبرز مختلف العلاقات الشعبية بين أفراد المجتمع من مختلف :- التجارب الحياتية | <br> 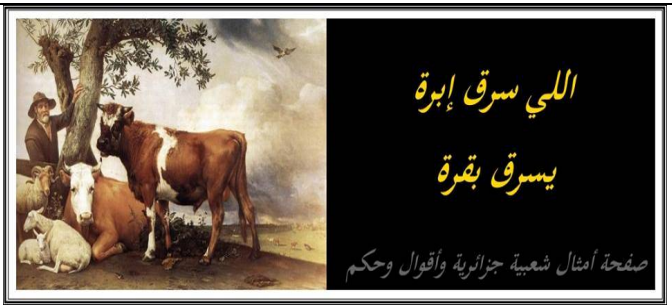 |

| | |
|---|---|
| | **كالخيانة/ السرقة**<br>**الثقة** |

وتبقى الأمثال الشعبية الجزائرية عبر شبكات التواصل الإجتماعي حاضرة بقوة في الوعي الثقافي للفرد الجزائري الذي وجد فيها متعة فنية وجمالية، وفسحة للترويح عن الذات من جميع الهموم خاصة بعدما أصبحت العولمة الثقافية والفكرية تحاصر التراث الشعبي المحلي وتحاول التضييق عليه، وطمس جميع معالمه.

**2. النكتة الشعبية في تطبيقات الهاتف النقال (واتساب)**

لقد أدت النكتة الشعبية دورًا هامًا في الثقافة الشعبية الجزائرية، وحققت معها الكثير من أساليب التواصل اللّغوي لهذا التراث عبر مختلف طبقاته الشعبية، ومع ذلك تبقى للنكتة الشعبية الجزائرية خصوصية تميزها عن بقية نكت الشعوب الأخرى، فهي ذات تراكيب لغوية متعددة، كما نجدها تفتقرإلى المجازفة خوفًا من أن يتحول صانعها إلى محور سخرية المتلقي، وهو السبب الذي ساهم في قلة إنتاجها، والنكتة كجنس أدبي لا يقتصر إنتاجه على فئة من الشعب دون غيرها، وإن إقتربت أكثر من فن القصة القصيرة، فهي متداخلة مع أجناس أدبية أخرى، فقد تأتي في بيت من الشعر كما تأتي في سياق روائي أو مشهد مسرحي أو غير ذلك[16]، كما نجدها من أكثر وسائل الضحك شيوعا في العالم، وهي متنوعة ودالة وتعتمد على اشتراك من يلقي النكتة والمتلقي لثقافة مشتركة[17].

وعليه إستعان المثقف الشعبي الجزائري بالتراث وجسده في كل تواصله اللساني والرقمي عبر العديد من التطبيقات التقنية خاصة في الهواتف النقال التي باتت وسيلة

أكثر حضور وشمولية للتراث الشعبي بشكل خاص، فكانت النكتة الشعبية عينة ثقافية لعرض بعض التعليقات الساخرة أو إثارة المزح بين مختلف الطبقات الشعبية مستخدمة أسلوب الدردشة في تناول موضوع ما من خلال تطبيق رقمي مشترك بينهم كأن يكون مثلاً **(تطبيق الواتساب)//(تطبيق الفايبر)//(تطبيق انستغرام)**، وغيرها من أنواع التطبيقات الرقمية وأحدثها التي غزت جميع الهواتف النقالة، وأصبح لها تأثير مباشر في"الارتقاء بلغة الجمهور وفي التوجيه والتأثير والتجنيد لما تمتلكه من وسائل جماهيرية نافذة مخترقة كل الحواجز والحجب" [18]، وهذا الأمر قد شجع العديد من مستخدمي الهواتف النقالة الذكية بتوظيف العديد من النكت الشعبية لكونها "خبر قصير في شكل حكاية، أو هي عبارة عن لفظة تثير الضحك"[19] الأمر الذي دفع بالعديد من المثقفين الجزائريين ولوج عوالم الهاتف النقال واستخدام تطبيقاته المترامية الأطراف من أجل إبراز الثقافة الشعبية الجزائرية ، وخلق جو من البهجة الثقافية تدريجيًا بين المثقفين.

والجدول الآتي يوضح بعض النكت الرقمية التي وظفتها عينة من مستخدمي الهاتف النقال الذكي من خلال تطبيقي: الواتساب **(Whatsapp)**، والفايبر **(Viber)** .

| النكتة الشعبية الأولى | النكتة الشعبية الثانية |
| --- | --- |
| 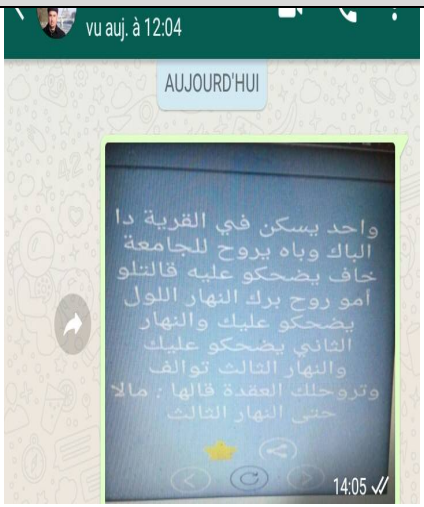 | |
| **النكتة الشعبية الثالثة** | **النكتة الشعبية الرابعة** |
| | 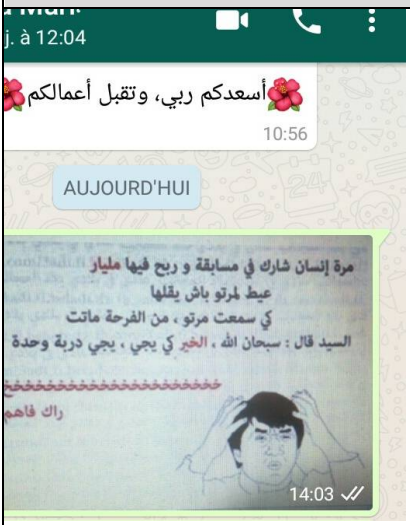 |

| | |
|---|---|
| | |

طبعًا تعددت أشكال الثقافة الشعبية الجزائرية عبر مختلف الوسائط الرقمية المعاصرة والتي مكنت مستخدميها من" توظيف إمكانيات جديدة تتيح له قاعدة أوسع من التواصل، الأمر الذي نجم عنه حالة تفاعلية مكنت مستخدمي اللغة من التواصل السريع والواسع(...) تحت تأثير العوامل المتغيرة إجتماعيا وسياسياً وثقافيًا" [20]، ومع ذلك يبقى حضور هذه التقنيات الرقمية محتشمًا لما لهذه الأشكال الشعبية من خصوصية لهجية في كل منطقة شعبية، ومع ذلك مازالت – الأمثال الشعبية والنكت والغناء– تشكل مرجعية لكثير من رواد الثقافة الشعبية بين مختلف الطبقات الشعبية وباحثي التراث الشعبي على وجه الخصوص، ويبقى التراث الشعبي في النهاية لدى أيّ أمة من الأمم بمثابة "رصيدها الباقي وذخيرتها الحية وعنوان حضارتها ومفتاح ثقافتها والصورة المعبرة عمّا كانت عليه في كل مجالات الحضارة(...) والوعي بالتراث لا يعني بالضرورة الإنغلاق والإنفصال عن الحضارات الأجنبية بما تحمله من ثقافة ومعارف"[21]، وهذا ما نجده في التراث الشعبي الجزائري والذي يبقى طفرة في الثقافة الشعبية العربية يجب العناية به خاصة عبر توظيفه في مختلف التقنيات الحديثة من شبكات التواصل الإجتماعي وتطبيقات الهواتف النقالة، والإعلام السمعي البصري وتخصيص له منافذ راقية لكي يرتقي ولا يظلّ حبيسًا التراث المخطوط أو المهرجانات الشعبية فقط.

ومع ذلك مازالت – الأمثال الشعبية والنكت والغناء– تشكل مرجعية لكثير من رواد الثقافة الشعبية بين مختلف الطبقات الشعبية، وباحثي التراث الشعبي على وجه الخصوص، ويبقى التراث الشعبي في النهاية لدى أيّ أمّة من الأمم بمثابة "رصيدها الباقي وذخيرتها الحية وعنوان حضارتها ومفتاح ثقافتها والصورة المعبرة عمّا كانت عليه في كل مجالات الحضارة(...) والوعي بالتراث لا يعني بالضرورة الانغلاق والانفصال عن الحضارات الأجنبية بما تحمله من ثقافة ومعارف" [22]، وهذا ماجسده التراث الشعبي الجزائري، والذي يبقى طفرة في الثقافة الشعبية العربية يجب العناية به

خاصة عبر توظيفه في مختلف التقنيات الحديثة خاصة شبكات التواصل الإجتماعي وتطبيقات الهواتف النقالة والإعلام السمعي البصري وتخصيص له منافذ راقية لكي يرتقي، ولا يظلّ حبيسَ البيئة المحلية.

## خاتمة:

في نهاية المطاف يبقى التراث الشعبي الجزائري له طقوسه ووجهة نظر العديد من الباحثين فيه، والتي يجب أن يقتدَي بها كل باحث في هذا التراث الذي يمثل هوية الأّمة، وحاضرها ومستقبلها الذي تستشرف من خلاله المتوقع وغير المتوقع، ومع ذلك حمل التراث الشعبي بشكل خاص بمختلف أنواعه وتعدُّد فروعه الكثير من المضامين والدلالات التي عبَّرت بعمق وصدق عن أصالته والتصاقه بوجدان الإنسان الشعبي الجزائري، ولمست أعماق هذا الوجدان في شتى تداعياته عبر لحظات فرحه وقرحه، وأمله وقنوطه الذي تجسد مع فئات هذا المجتمع المتعطش لمعرفة تراثة الحاضر الغائب عبر صور العولمة الثقافية.

## الهوامش والإحالات:

(1) محمد الجواهري، حسن الخولي، فاتن أحمد علي وآخرون: التراث الشعبي في عالم متغير(دراسات في إعادة إنتاج التراث) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، القاهرة، مصر، ط1، 2007 ص11.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط10، 1999 ص29.

(4)محمد الجواهري، حسن الخولي، فاتن أحمد علي وآخرون: التراث الشعبي في عالم متغير(دراسات في إعادة إنتاج التراث)، ص11.

(5)حسن محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1989 ، ص 13 .

(6) أبو بكر باقادر، حسن رشيق: الأنثربولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ص42.

(7) السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، (مقوماته الفنية و طاقتها الإبداعية)، دار النهضة العربية، لبنان، ط3، 1983، ص141.

(8) المرجع نفسه، ص142.

(9)عبد العاطي كيوان، التناص الأسطوري في شعر محمد إبراهيم أبو سنة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص19.

(10) أحمد خليل أحمد، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص8.

(11)حسن مخافي، القصيدة الرؤيا، دراسة في التنظير الشعري، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب، ط1، 2003، ص120.

(12)جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج25، ع3، ص 109.

(13)وجيه جرجس، المسرح العربي والموروث الشعبي(دراسة تحليلية لنماذج)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010 ، ص13.

(14)عزّ الدين مناصرة، علم التناص المقارن(نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 428.

(15) المرجع نفسه، ص429.

(16)جمال طاهر، داليا جمال طاهر: موسوعة الأمثال الشعبية(دراسة علمية)، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر، ط1، 2015، ص 24

(17) الخير شوار ،

http://www.djazairess.com/alfadjr/124498 22/09/2017

(18) السيد نجم، النكتة ظاهرة ثقافية

http://www.middle-east-online.com/?id=10223123/09/2017

(19)مجموعة من المؤلفين: صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام و الاتصال ، المجمع اللغوي الأردني، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص 26.

(20) نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط1، د. س، ص178.

[21] مجموعة من المؤلفين:اللغة العربية في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول، المجمع اللغوي الأردني، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 44.

[22]وجيه جرجس، المسرح العربي والموروث الشعبي(دراسة تحليلية لنماذج)، ص20.